

محمد إبراهيم أبوسنة

شجر
الكلام
شعر

دار الشروق

شجر
الكلام
شعر

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسما محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة: ٨ شارع سيديويه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص. ب. ٣٣ البانوراما - تليفون: ٠٢٣٣٩٩٤ - فاكس: ٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

بيروت: ص. ب. ٨٠٦٤ هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣

فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٩٦١)

الإهداء

إلى الأرواح الخضراء التي
تهيم حول روعي
إلى روح أمي
وأبي
وأخي

محمد إبراهيم أبو سنة

كَأَنَّهُ الْغُرُوبُ

كَأَنَّهُ الْغُرُوبُ
يُشِيرُنَا بِنَارِهِ الْبَطِيئَةَ
الَّتِي يَلْفُهَا
الرَّمَادُ فِي الْمَدَى
فَتَمَعُنُ الظَّلَالُ فِي بُكَائِهَا
وَتَنْطَوِي عَلَى حَرِيقِهَا
الْقُلُوبُ
وَتَطْفِئُ الحَدَائِقُ الَّتِي خَلَّتْ
مِنَ الطُّيُوبِ
بَقِيَّةَ الْأَشْعَةِ الَّتِي
أَذَابَهَا
النَّهَارُ فِي غُصُونِهَا

وتبدأُ الغمائمُ الخضرَاءُ في الهروبِ
عواصفُ رَعْنَاءُ في جبالِ عمرنا
تَهْمُ بِالْهَبُوبِ

تطوقُ النهارَ في أصيله
وتغمرُ الأحلامَ بالذبولِ
والأرواحَ بالثقوبِ
وتلكَ ذكرياتنا

تحنُّ لو تعودُ للحياةِ

من قفارها

يلفُّها الشحوبُ

تُكَلِّمُ الفئاتَ من موائد الزمانِ
تلتقى بوقتِها العَصِيبِ

كَأَنَّهُ الْوَدَاعُ . .
يَرْفَعُ الشَّرَاعَ
وَالْخَرِيفُ يُدْخِلُ الدَّرُوبُ
وَحِينَما تَحْسَسْتُ أَصَابِعِي النُّدُوبُ
وَصِيحَةُ الْجِرَاحِ . .
فَوْقَ جَسْمِي الْجَدِيدُ
حَلَمْتُ لَوْ رَأَيْتُ طَيْفَ أُمِّي
الْحَبِيبُ
يُطَلُّ مِنْ وَرَاءِ مَوْجَةٍ
يُهَلُّ فِي شِعَاعِ نَجْمَةٍ
يَجِيءُ مِنْ حَدَائِقِ
الْغُيُوبِ

لعلها تطيبُ
جراحيَ التي تمتدُّ
في شمالِ عمريَّ ..
.. الأليمَ والجنوبُ

لعلَّ طَيْفَهَا
يريقُ فوقُ وَحْشَتِي
غمامةً من الحنانِ ..
جدولاً من المياهِ
فوق ذلكَ اللهبِ
سألتُ ذلكَ النسيمَ
بعضَ عطرها
ومقدِّمِ الربيعِ بعضَ
دفئها

حلّمتُ لو أعودُ مرةً
لصدّرها
وأه لو أذوبُ
في ضمةٍ تحيلُنِي
سحابةً
أو طائراً أو موجةً
لكنّ طيفها
يلوح لي في بُعدهِ القريبِ
ملوّحاً بوردةٍ
ومرسلاً لدمعةٍ
وراحلاً إلى فضائه
الرحيبِ

رأيتُ لَيْلَى الطويلَ . . . مقبلاً
يهزُّ في وَحْشِيَّةٍ
أغصانَ صُبْحَى الرطيبِ
يقنُّعُ النجومَ
بالسحابِ
والأيامَ بالخطوبِ
وكلُّ من سألتهُ
يشيحُ في برودةٍ
يصمتُ لا يجيبُ
تنفجرُ الأشياءُ في النحيبِ
تقرفصُ الأيامُ
فوق صخرةٍ

ممعنة فى صمتهأ
المرب
تخبئ اللآلىء الخضرآء
فى قُبورها
وتسكن الأسرار
قلب سجنها الرهيب

١٩٩٨ / ١٠ / ٣

حين كان الغمام يهيمى

أمهلينى . للحظة
قبل أن يُعلقَ
الوردُ أجفانهُ
وتقيمَ الغيومُ
تحت جُفونى
ويؤوبَ النهارُ
محضَ ظلال
تشنهَى . مذبوحةً
فى ظنونى
إنه صخبُ البحرِ
«يعترى» هوسَ القلبِ

ما تَقَضَّتْ لُبَانَاتُهُ
والليالي تَتَوَالِي
جُنُونُهَا يَعْتَرِينِي
ذِكْرُنِي؟!
وما نَسِيتُ
إن رَمَالِي تَشَقَّقَتْ
وهي تَهْفُو لَغَمَامٍ
معلقٍ
فِي سَقُوفِ السَّنِينِ
لغَمَامٍ
رَأَيْتَهُ وَهُوَ يَهْمِي
فوق زهرِ الأَيَامِ

فى شجر الأحلام
نعيماً رقرقته

أناملٌ من حنان
فراقصته غصونى
كلُّ ما «كان» حاضر

فى مرآيا العيون
يسكبُ ذكراهُ

حيناً

يسيلُ

إثرَ حنين

والذى راحَ فى الرياحِ
قديماً . يتراءى . . كدموعِ

سخينة . . في عيونِي
كيف أنسى .
ودفءُ صدرك
ما زالَ ربيعي
ونداءُ الجدرانِ
في بيتي الذي قد خلا منك
غناءً . . كأنه
صدى لأيني
كيف أنسى
وأنت ملءُ سُطُوري
«كواكب»
وجميعُ الأعضاء . . .

.. تزهراً بالذكرى
وظلال الأيام
تمضي لمعبد في كهوف السكون
لتؤدّي صلاتها لعيون
سحرتني . ودعتني
لمراعي الفردوس
يوماً
وقد تناءت شجونى
فدعيني ..
للحظة أتمنى
رجوع ساعة جمعتنا
أتشهى جمالها
يحتوينى

قد قضيتُ الأيامَ
أقطعُ عمري
ما تمنيتُ . .
لحظةً
أننى كنتُ فى الأرضِ
ما لمْ تكونى

١٩٩٧ / ٤ / ٨

مديلين / الفراشة الحمراء

مديلين مدينةٌ في كولومبيا بأمريكا الجنوبية
يعقد فيها مهرجان سنوى للشعر العالمى
وقد مثل الشاعر مصر فى المهرجان
الذى أقيم فى عام ١٩٩٨ . فتنته
المدينة فكانت هذه القصيدة

.....
.....

مدلينُ - أجنحةُ
تموجتُ على السهول والجبال
فى العراءِ

فراشةُ حمراءُ

تنامُ في استرخاءٍ
على وسائد العواصف الخرساءُ
تُحيطُها منابعُ الأضواءِ
تمدُّ في الصباحِ والمساءِ
منقارها
تَشْرَبُ من جدّ أولِ
الغناءِ
تَشْهَقُ في الفضاءِ
تغمسُ في الغديرِ
بُكَاءَها
الذي يضجُّ بالسرورِ
تكادُ أن تطيرِ

تكادُ أن تُمسكها النُّجُومُ
فتنتشى :

كَأَنَّهَا عَذْرَاءُ

تهيأتُ للحظة المضاجعة
سريرُها الغيومُ

.....

تفرُّ من أصابعِ الممكنِ والمُحَالِ
لتصبحَ المثالُ

في ساعة التمرد

الذي يجاوزُ الحدودَ ..

.. لا يطيقُ الاعتدالُ

وعندما يحاولُ الجمالُ

أن يبلغَ الكمالُ
تحلقُ الفراشةُ السحريةُ الأسرارُ
لتنثرَ الزهورَ والأشعارُ
على الخدودِ والصدورِ والأنهارُ
وتطعمُ الأقمارُ
سبائكًا من النُّضارِ
تملاً الجرارُ

بماء ذلكَ النهارُ
ميدلينُ تصعدُ التلالُ
بعنفوانِ حبِّها الجبارُ
بسحرها الذي

يذيبُ في نعومةٍ

صلاة الصخور
والأحجارُ
فراشةُ الأسرارُ
تلفتت لوهلة . . لم تنبهرُ
وحلقت تجاذبُ
الأقدارُ
مصيرها المغامرُ
المقامرُ
الموآزرُ
برقصة الأعشاب والأشجارُ
على شواطئ الغياب والحضورُ
ميدلين: رقصة . .
وطلقة

وزهرةٌ وامرأةٌ جامحةٌ
كنيسةٌ خاشعةٌ . .
وجداولٌ يفيضُ بالحبورِ
ميدلينُ طفلةٌ مراهقةٌ
تأخذني بحضنها مُعانقةٌ
كأنها شراعٌ زورقُ
يداعبُ السُّحُبُ
فتكتسى خيوطهٌ بالزهو
والبكاء واللَّعبُ
كأنَّها نداءٌ ساحرةٌ
تعطيك سرَّها إلى الأبدِ

لكن ما تأخذهُ

يصيرُ للبددِ

تجىءُ في لفائفِ الفصولِ

في أشعةِ الرحيلِ

في اندفاعِ الغضبِ

تُعبىُّ الرياحُ في أكوابها

وتشعلُ الصدورُ

بنارِ شهوةِ

تصبُّ في فمِ الزمنِ

أنهارها من النبيذِ واللَّهبِ

ميدلينُ فتنةً امرأةً

تعطيكُ في ابتدائها

أشواقها :
ثُمالة الأسي وحسرة الرحيل
والمجىء
تعطيك الانتهاء
فى فىض الابتداء
ميدلينُ يأكلو ميبيا
ميدلينُ يا أيتها الأرضُ
التي تُقبِّل السماء
ميدلينُ يا فراشة حمراء
أشكوك للرياح
والأحلام
أصابني الفراق

فى موعء اللقآء
وانهمرآ البكآء
فى سآعة العنآق
وفآضتآ السهول
بآلزهر وآلآر
وآللآلآع الزرقآء
وانكفآت مآءلآن فوآ سرهآ . .
. . آلآمآل فى المسآء
وآب الفضآء
آنآ هذآ الطآئر الذى
لفه الظلام
عندآ أضاء
مآءلآن نجمة بعآءة

تضجُ في غلائل الغاباتُ
برقصة صاحبة رَعْناءُ
يُضِيءُ عُرْبُهَا.
مشارفَ الفصول
في الشمال والجنوبُ
في الشرق. في مَسَاقِطِ الغروبِ
تَلَأَلَاتُ

لا يعترى بريقها
أنطفأءُ
تمددتُ على سريرها
لاهيئةً
ترقدُ في قصيدة خضراءُ

١٩٩٨ / ٦ / ٢٦

شجر الكلام

لا تسأليني .

أن أقيم فقد تعبتُ
من المقامُ

ذبلتُ غصونُ

الحلمُ

في شجر الكلامُ

ساختُ بهذا الرملِ

أقدامُ الخيولِ

شرابها دمعُ السرابِ

وظلُّها وقدُ الهجيرِ

طعامها ذرُّ القتامِ

فِيمَ أَنْتَظَرِي وَالسَّهَامُ
تَنْوَسُنِي
فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
مَكَانٌ لِلسَّهَامِ
أَبْقَى عَلَى هَجْرِ الْأَحِبَّةِ
كَلِمَا حَنَّ الْفؤَادُ
إِلَى الْوَدَادِ
بَدَأَ الْخِصَامُ
وَرَدِّي يَجْفُ
وَطَائِرُ الذِّكْرِ
يُنَادِيهِ الْفِرَاقُ
وَوَحْشَةُ هَذَا الزَّحَامِ

لا أنت قادرةٌ
على حبي
ولا خمرٌ بأَكْوَسنا
ضاقَ الفضاءُ
فلا وراءَ
ولا أمامَ
سقطَ القناعُ
وهذه الأيامُ
تحملُها الرياحُ
من الضياءِ إلى الظلامِ
قلبي بقايا غنوةٍ
وغمامةٍ

تبكى على قمر
يغيب . . . ورحلة
فوق الضرام
حنًا سرائرنا
فحاصرَ خطونا
شوكُ الطريق
وخائننا صفو الوثام
طالت بنا الأيام
بين وجيعة تكوى
وأحلام تُضام
وحدى أنازل ما تبقى من سنين العمر
في حربٍ تدومُ بلا سلام

١٩٩٨/١٢/٢٠

الحياة السعيدة .. الحياة التي لم تكن

لم يكن غير تلك التلال البعيدة

تومض الآن كالبرق

عند انحناء السماء . .

على النهار في أمسيات القصيدة

والغصون التي ترتقى

ذروة الذكريات . .

لتزهر هذى النهايات

بالموت

تبكى الحياة السعيدة

الحياة التي لم تكن

والبلاد التي خلفتها الطيور الشريفة

إنه موعدٌ لانطفاء الأكاليلِ
وقتٌ ليدخلَ هذا

المغنى غيومَ تهاويله
كى يصوغُ نشيدهُ
كى تعودَ النجومُ

إلى النَّهرِ

ترقصُ فى موجه

تتفجَّرُ فى ليله

كى يفكُّ قيوده

إنه موعدٌ

للغياب الذى حاولتُ

لياليه أن تستعيده

مَوعِدٌ لِلقُبُورِ التِي
تَسْمِيْتُ . لَتَنهَضَ مِن ذلِّهَا
لَتشَاهِدَ فِي لِحْظَةِ الوَهْمِ
شَمْسَ البَحَارِ الجَدِيدَةِ

١٩٩٩ / ٦ / ٢١

هل يضجر البحر؟؟

ذاك وحشٌ من الماء
يرتجُّ . يُرغى ويصخبُ
حتى تناثرَ في شفق
هذا الفضاء الزبدُ
مرجلٌ يتقلبُ في جوفه
تتعاركُ أمواجهُ
وتحمحمُ عند ملامسةِ
الصخر والرملِ
مُطرحاً نفسه
في مَرايا الأبدِ
قد تراءى على بُعدِه

عنفوانًا غضوبًا
ينازلُ أنحاءَهُ
وَيَصَارِعُ أَعْضَاءَهُ
وَيَبْدُدُ أَصْدَاءَهُ
فِي سَدِيمٍ قَدِيمٍ
وَلِهَاتِ خَمَدٍ
هَل تُرَى الْبَحْرُ جَنَّ
فَأَمْسَكَ هَذِي الْقُرُونِ
يَطْوِجُّهَا خَلْفَ شُطْرَانِهِ
ثُمَّ يَهْوَى . عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُدَى
يَتَهَافَتَ . حَتَّى تَمُوتَ صَبَابَاتُهُ
فِي مِيلٍ إِلَى الصَّمْتِ

مَتَّشِحًا بوشاح الكمدُ
هل تُرى يتضجّرُ في سجنه
في المكان الفسيح . .
. . وفي وحشة من زمانٍ
طريحٍ
على شاطئِ الريحِ
يغمره الليلُ حيناً
وحيناً تصادفه الشمسُ
تمتصّه . . ثم تُلقى بقاياهُ
فوق الصحارى
ليخضّرَ منها الجسدُ

.....
.....

ما الذى تَشْتَكِي أَيُّهَا الْبَحْرُ
لَا شَكَّ ضَمَقْتَ بِسَجْنِكَ
بَيْنَ قِيُودِ الزَّمَانِ
وَتَحْتَ سَنَابِكِ
هَذَا الْمَكَانِ
وَلَا شَيْءَ يَبْقَى
سِوَى الرِّيحِ فَوْقَكَ
وَكَمْ مِنْ سَفَائِنٍ تَمْضَى
إِلَى سَاحِلِ
وَالْعِرَاقِ الْعَمِيقِ
بِجُوفِكَ
تُطَلِّقُهُ الْكَائِنَاتُ الْحَبِيسَةُ

منفجراً بالدماء
وكم من مصائر تُطوى
وتبقى وحيداً إلى
الليل ما من أنيس
سوى بعض غرقى
وبعض سحاب
يهرولُ عبرَ الفضاءِ

.....

رؤيدك يا بحرٌ . . .
هلاً استعدت إذا كنتَ
تضجرُ . ما قد
تبادلهُ العاشقون

أَمَامَكَ عِنْدَ الْأَصَابِلِ
من قبلات . .
وما قَدَّمُوهُ إِلَىٰ بَعْضِهِمْ
من عهود
آه . يا بحرُ لو تتأمل
يوماً كتابكُ
أتُعرفُ سرَّكَ يا بحرُ
سرَّ الملايين . . جاؤوا
إليك . . وراحوا
وأنتَ تواصلُ هذا الصراخَ
تواصلُ هذا العنادَ
وتُغلقُ بابكُ

.....
.....

رويدك يا بحرُ
هلا تذكرتَ . من أشهدُوكَ
على حُبِّهم
ومن عبْرُوكَ إلى حَتْفِهِمْ
تضجرتَ يا بحرُ
كلُّ الذين يجيئونَ
لا يمشونَ
وكلُّ الذين يروحونَ
لا يعرفونَ الرجوعَ
وكلُّ الذين يغيبونَ
فيك . يغيبونَ
دون طلوعِ

وها أنتَ بينَ مخالِبِ
هذا الزمانِ الفسيحِ
سَتَبْقَى الأَسِيرَ الوَحِيدَ
لَتَرَسُفَ وَسَطَ الشَّوَاطِئِ
بينَ القَيُودِ
تَحاولُ. لا تَسْتَطِيعُ الفِكاكَ
من القيدِ . .

قيدَ الوجودِ
تعارِكُ نَفْسَكَ حِينًا
وتهدأُ حتى نخالِكَ
مِيتًا فتصحوُ
فهل أنتَ يا بحرُ حرُّ

كما نتوهمُ
أم أنتَ مثلُ

جميعِ العبيدُ

تغالبُ هذا الحصارَ

ولا تستطيعُ. الفكاكَ

من الأسر

تضربُ بالموجِ صخرَ الخلودِ

١٩٩٧ / ٦ / ١٢

شِئَاءُ الْعَرُوبِ

لَهَا أَنْ تُرْفِقَ أَحْزَانَهَا
فِي مِيَاهِ الْفَجِيعَةِ
تَبْكِي مَقَادِيرَهَا
وَتَنْوَحُ عَلَى وَتَرٍ مَغْتَرِبٍ
لَهَا أَنْ تَمُوتَ . .
وَلَيْسَ لِقَاتِلِهَا أَنْ
يَقُولَ السَّبَبُ
تَلُومُ مَوَاقِيَتِهَا الْغَادِرَاتِ
وَتَنْدُبُ حُظَّ الْحَيَاةِ
تَعَاقُرُ فَوْقَ مَوَائِدِ
هَذَا الزَّمَانِ النَّوَبِ

تراقبُ تحتُ النجومِ

البعيدة

كيف تُزاحُ إلى ظلماتِ المغيبِ

الأخيرِ . . قوافلُ أحلامها

في مداراتِ تاريخها الملتهبِ

برابرةٌ قادمونَ . .

. . برابرةٌ ذاهبونَ

وهذى قرونٌ من الدمِ

فوقِ المدَى

تنسكبُ

وداعٌ طويلٌ يلوحُ

فيه زمانٌ كئيبٌ

بأهواله المشرعات
لَمَنْ قَدْ تَبَقَّى مِنَ الرَّاحِلِينَ
العربُ

وبغدادُ .

تَدْعُو فَلَإِ يَسْتَجِيبُ
سوى قاتليها الغلاظ . .
يجيئون فيَّ الرِّيحِ وَالْمَاءِ
في الطائرات

وعبرَ السفائن

من كل صوبُ

يجيئون بالموت

يغدو الفراتُ دماءً

وتغدو الطفولةُ
أشباحَ مذبحه
والعروبة أضحوكةُ
والنخيلُ اعتذارَ الغضبِ
وبغدادُ تدعوُ فلا يستجيبُ
لها إخوةُ في النسبِ
فتجلسُ تحت سيوفِ
المغولِ تراجعُ
صفحتها في الكتبِ
برابرةُ قادمونَ
برابرةُ ذاهبونَ
ولكنها في ختامِ الليالي
تهبُ

وتبدأ صولتها من جديد
وتقرأ أشعارها
للفصول التي
أورقت في مروج الذهب
لها أن تحسَّ التعب
لها أن تقاوم
هذا الجحيم
وَوَحَدَتَهَا

عبرَ هذا النداء
الذي يتحبُّ^و
وتُطلق صيحتها
في رَماد الغيوب
على أفقٍ مضطربٍ

يُوَلِّي زَمَانُ الْأَعَاجِيبِ
يَأْتِي الزَّمَانُ الْعَجَبَ
وَيُعْتَقِلُ الصِّدْقُ

عِنْدَ الْمُخَافِرِ
مَتَهَمًا بِالْكَذِبِ
مَتَى تَنْهَضُونَ

إِلَى مَوْعِدِ فِي زِحَامِ الشُّمُوسِ
أَيَا عَرَبًا . . .
يَنْتَهَى جِهْدُهُمْ
فِي الصَّخَبِ
فَأَعْدَاؤُنَا يَشْحَدُونَ
السَّكَائِينَ فِي اللَّيْلِ

جَاؤُوا لِمَوْعِدِ قَتْلِ
وَنَحْنُ نُنَازِلُهُمْ
فِي الْخُطْبِ
فَقَوْمُوا اغْضِبُوا
لِلْهَوَانِ
فَقَدْ تَحْرَقَ الْعَجْزُ
نَارَ الْغَضْبِ
وَتَرْجِعُ بَغْدَادُ
غَرَسُ الْعَرُوبَةِ
تَرْجِعُ قُدْسُ الْعَرَبِ

١٩٩٨ / ٣ / ٥

القتلة

لم يكونوا . يريدون للبدر
أن يكتملُ

ولا للضياء

الذى قد أهل

يصيرُ نهاراً يماشيكَ

حتى تصلُ

ولا للربيع الذى

يتضحكُ فى الوردِ

أن يتباهى

بما فى المقلُ

من حدائقٍ يمرُح فيها الهوى

ويطيبُ الغزلُ
إنهم في ظلام الضغينةِ
والمقتِ
عارُ تزيّاً
بزاهي الحُللِ
بكيِّدون للحبِّ ليلاً
في الصبحِ يتسّمون
إذا ما الحريقُ
اشتعلُ
لم يكونوا يطيقونَ
هذي الطيورَ
التي رَفَرَفَتْ
في ثنايا القُبُلِ

ولا البحرَ
يأتى إليك
يعانقُ فيك
المدى المرتحلُ
ولا كلَّ هذى النجومِ
التي تندافعُ
حولك
تشتاقُ أن تبتهلُ
إلى وردة فى أعالى الجبلِ
وكانوا يموتون قهراً
إذا ما جوادكُ . . .
فوق الأعالى صَهْلُ

يريدون قَتْلَكَ

لا يحسنون سوى القتلِ
هذا هو السمُّ منسكبٌ

في العسلِ

وهذى الخناجرُ

تحت العباءاتِ

تهفو لقلبك

هذى الأفاعى

التي لا تكَلِ

تَسَلُّ تحت الفراشِ

الدَّفَىءِ

ووسط الضغائنِ

تنفثُ في الأرض
كلَّ العَلَلِ
يُحيطونَ خطوكَ
هذا الحصارُ الذي
أحكموهُ ..
يناديكَ أن تتقدمَ
لا يعتريكَ الوجلُ
تراهنُ وسطَ الحريقِ
وتحتَ السهامِ
على موعد
قادم في ضمير الأملِ
فداعبُ ورودَ أغانيك . . .

دعهم لهذا الخيضِ
وهذا الزمان
الذي يكتهلُ
فللحبِّ:

ما قد علأ

وللبغيض:

ما قد سفُل

١٩٩٩/٣/٢

سأبقى مع الحب

وكيف سأوى إلى جبلٍ
والبهارُ جبالٌ

وكيف سيطلعُ فجرى
وليلٌ جديدٌ

يفاجئنى كلَّ صبحٍ

بيابى

وأهْرُبُ منى إلى

أن يُحاصِرَنى

خلفَ هذى التلالِ

غيايى

أحاولُ . لا أستطيعُ النجاةَ
وهذى القنفاذُ تسكُنُنِي
ثم تغرزُ أشواكها

في ثيابي
وصوتُ عواءٍ يلاحقُ
ما قد تبقى من

الوهم
يحلُّمُ بالإفتراس
ألوذُ ببعضِ الجذوعِ العتيقةِ
أقرأ أسماءَ بعضِ
صحابي

همُ الآنُ راحوا

إلى شأنهم
وقد خلّفوني
وَحَدَى . . وَسَطَ الضَّبَابِ
وَتَلَكَّ التِي كُنْتُ أُحْمَلُهَا
فِي مَرَايَا الْمَاقِي
تُرَاوِعُنِي ثُمَّ تَمْضِي
لِجَارِي
فَتَرْكُضُ شَيْخُوخَةً
فِي شِبَابِي
أَسَافِرُ فِي الْحَلْمِ
فَوْقَ الْوَسَادَةِ
أَبْحَثُ عَنِ حِضْنِ
أُمِّي

أنازلُ ذكْرِي
مراراتُ فُقْدانها
آه . يغْدو بحجمِ حياْتِي
عذابِي
على النَّهرِ تمضي المراكبُ
حاملةً

سَنواتِ الغبارِ
إلى شجرِ في السَّحابِ
وهذا الزمانُ
الذي قد وضعتُ
كتابِي
وخفقَ فؤادِي
بين يديه

تَمَثَّلَ أَعْمَى

يَحَاوِلُ

«بِالنَّارِ»

كَيَّ إِهَابِي

وَتَبْدِيدِ شَمْلِ الْأَغَانِي

وِإِتْلَافِ مَا بِي

بِلَادِي تَسَافِرُ

فِي لَيْلِهَا لِلصَّحَارِي

وَقَلْبِي يَنَازِلُ

هَذِي

الرَّمَّاحَ

يَنَازِلُ هَذِي الرِّيَّاحَ

التي تتناوحُ
فوق الخرابِ
سأزرعُ غُصني
على التلِ
أبقى على الشوق للماءِ
أسألُ هذي السماءَ
قليلاً من القطرِ
فوق الترابِ
عظيمٌ مصابي
ولكنني سوفُ أمسكُ
بالنجمِ
أرفعُ في وجهِ
أعداءِ كلِّ ربيعِ حِرَابِي

وأملأً بالنور
كَلَّ سَطُورِ كِتَابِي
سَأَبْقَى مَعَ الْحَبِّ
عَبْرَ رَحِيلِ الْفُصُولِ
وَمِنْذَ الْمَجَىءِ . . .
وَحَتَّى الذَّهَابِ

١٩٩٦ / ١٠ / ٣

ما الذى أعجلك؟؟

ما الذى أعجلك؟

- أى شىء حسن لم يكُ لك

فُتَّ كلَّ القلوب

التي أينعتُ طوقتُ

منزلكُ

والحقولَ التي زرعتها

يداكُ

تمدُّ إليك الغصون

الرطابَ لتستقبلكُ

والعيونَ التي ملأتها الدموعُ

تحاولُ أن تسألكُ

هل سئمت الليالي التي
لم تذق من يديها

سوى مرها . .

. . ثم حين رنوت إلى حلوها

غَلَقْتَ بَابَهَا . . .

. . صوبت سَهْمَهَا

في سواد الحلك

لكي تقتلك

لم تُنلِكَ الوصال الذي

نالهُ الطامعون

وما كنت تبغى رضاها

ولا كنت تحلم أن تشغلك

آه . خَانَتْكَ
دَابُّ اللَّيَالِي تَخُونُ
وَمَا كُنْتَ تَطْلُبُ
إِلَّا الْقَلِيلَ
فَكَيْفَ لَهَا أَنْ تَضُنَّ
وَأَنْ تَخْذُلَكَ
فُتَّهَا لِلظَّلَامِ الَّذِي
يَصْطَفِي قَلْبَهَا
وَالذَّنَابِ الَّتِي تَبْتَغِي
وَدَّهَا
وَالْتَرَابِ الَّذِي خَفْتِ
أَنْ يَتَهَاوَى

يُعَكِّرُ فِي لِحْظَةٍ مِّنْهُلِكَ
فُتِّنَا. وَارْتَحَلَتْ طَهْوَرًا
صَمَتًا.

وَكُنَّا نُنَادِي
عَلَيْكَ تَجِيبُ

فَمَنْ ذَا الَّذِي
بِدَلِّكَ

فَتَّنَا لَخْصَامٍ

عَقِيمٍ

وَدَهْرٍ لَّئِيمٍ

وَرَحَّتْ تَدْوِيرُ

نَسِيمًا بِهَذَا الْفَلَكِ

فُتِنَا نَشْنِي فِي الْوَهَادِ
الْعَمِيقَةِ
نَشْرَبُ فِيهَا الْحَمِيمَ
وَنَمْضِي لِنَهْلِكَ
فِي مَنْ هَلَكُ
تَسَافِرُ مِثْلَ الْغَمَامَةِ
تَغْرَقُ فِي طَهْرَهَا
طَالِبًا فِي الْبِهَاءِ الشَّفِيفِ
«أَخِي» مَوْثَلِكُ
فُتِنِي أَبْتَغِي مَوْعِدًا
نَلْتَقِي عِنْدَهُ
طَارِحًا،

كل ما ناءَ ظهري به
والذي أثقلتُ
خارجاً من قفار الحياة
لأهجرَ هذا السرابَ
الذي ضللتُ
كنتَ لى ملجأ من خطوبٍ
توآلى علينا
فها أنتَ رحمتَ تفكُ الإسارَ
الذي غللتُ
ليس إلا السؤالُ الذي
يتناهى إلى صخرةٍ

في الرمال
ويرتدُّ عنه الصَّدى
ما الذي أعجلك؟
ما الذي أعجلك؟؟

١٩٩٧ / ١٢ / ١٢

امراة أم مدينة

تَقَوَّسَ عِنْدَ مَدَاخِلِهَا
وَأَنحَنِي
وَتَسَلَّلَ فَاجَأَهَا
فَادَّعَتْ أَنهَا تَشْتَهِيهِ
وَأَن مَرَّ اشْفَاهَا تَرْجِيهِ
وَأَن هَوَاهَا هَوَاهُ
وَحِينَ تَقْدَمُ بِالْكَأْسِ
يَبْغِي يِنَادُمُهَا
أَسْدَلْتُ دُونَهُ هَجْرَهَا
غَلَّقْتُ بِأَبْهَاءِ . . ثُمَّ رَاحَتْ تُعَرِّى
لِمَنْ يَبْتَغِيهَا سِوَاهُ

يقرفصُ تحتُ قناديل
ذكري مَضَتْ
أو مضتُ . .
في دُجَاهُ
يحاولُ أن يستعيدَ
البقايا التي نثرتها الرياحُ
قديمًا على سفحه
أو ذُراهُ
تقولُ المريا وداعًا
لورد
تولي . ولم تكتحلُ عينه بالمياه
وداعًا . لمن لا ترأه

لقد غادرُوهُ جميعاً
وما خَلَّفُوا
غير دمعٍ تَرَقَّرَقَ
في وحشةِ الليلِ
عَبْرَ الصَّحَارِي
وهذي الأفاعي
تلاحقُهُ
أَيْنَمَا حَلَّ
تَبْغِي رَدَاهُ
ولا شَيْءَ إِلَّا صِرَاحُ
بأعماقِ وادٍ سَحِيقٍ وصوتٌ يُنادي صِداهُ

١٩٩٩/٦/٢١

جدلية

- كلُّ هذا لَهُمْ؟؟
- وخذَهُمْ!!
- نحن جئنا هُنَا . قَبْلَهُمْ؟
- لم نكنْ مِثْلَهُمْ!
- نحن جوعَى وَهُمْ
- متخَمِّ كَلْبَهُمْ؟؟
- انتظرُ ربَّما رِقَّ يَوْمًا لَنَا قَلْبُهُمْ!
- إِنَّا تَحْتَهُمْ؟؟
- إِنْهُمْ تَحْتَ مَنْ فَوْقَهُمْ!
- لَوْنُنَا لَوْنُهُمْ؟؟
- مَا لَهُمْ رُوحَنَا . مَا لَنَا رُوحَهُمْ!

- أَرْضُنَا؟
- أَرْضُهُمْ!
- لَيْلُنَا؟!
- خَمْرُهُمْ!
- مَا لُنَا؟
- مَلِكُهُمْ!
- ذُلُّنَا؟
- عِزُّهُمْ!
- صَمْتُنَا؟
- حِلْمُهُمْ!
- مَوْتُنَا؟
- خَيْرُهُمْ؟
- انتظر إنهم!

- عَابِرٌ يَوْمُهُمْ!
- سَوْفَ يَأْتِي الَّذِي بَعْدَهُمْ؟
- مِثْلَهُمْ!
- وَالَّذِي بَعْدَنَا؟
- خَصْمُهُمْ؟
- وَرَدُّنَا؟
- شَوْكُهُمْ!
- مَاؤُنَا؟
- نَارُهُمْ!
- سَوْفَ نَبْقَى وَهُمْ!
- وَحَدَّنَا.
- وَحَدَّهُمْ!

١٩٩٩ / ٢ / ٢٦

للريح حكمتها

حين ناءَ بأحماله
قال للريح
هل نتقاسمُ هذا العناءَ
قليلاً من الوقت
إني تعبتُ
وما من معين
وما من خليلٍ
فقالتُ:

ومن ذا دعاك
إلى حمل ما لا تطيق
وهذا الطريقُ طويلٌ

فقال:

ومن ذا دَعَاكَ

لهذا اللهاث

كأنك راکضةٌ

فِي طريق الخلود

إلى المستحيل

فقالت:

دعاني الجمالُ الذي في البحارِ

وهذي الحدائقُ فوق السهولِ

وهذي الغمامُ فوق الجبالِ

دعتنى البراعمُ فوق التلالِ

دعتنى النجومُ التي لا تراها

لأنكَ تَمْضَى . .
تَعَثَّرُ بَيْنَ الْحَصَى وَالتَّرَابِ
دَعَتْنِي الطَّيُورُ
الَّتِي فِي الْغُصُونِ الرُّطَابِ
دَعَتْنِي الْأَغَانِي الْبَعِيدَةُ
فَوْقَ الْهَضَابِ
وَأَعْلَمُ أَنِّي سَأَمْضَى
إِلَى الْمَوْتِ
حَيْثُ انْطَفَأَ الرَّغَابُ
عَلَى الشُّوكِ يَوْمًا
وَقَدْ أَتَهَادَى
عَلَى الْمَوْجِ

حتى الغيابُ
ولكنني حرةٌ
لا أطيعُ التوقفَ
للنوحِ مثلكَ
أطلبُ عونَ الصَّحَابِ
لماذا تحملتَ
هذا العذابُ
ولا شيءَ يبقى
سوى لمحة
من جمالِ فيضِ بنعمائه
فِي هوىٍ مستطابِ
ففتحُ الذي فوقَ ظهرِكِ

هذا حصيَّ

من ركامِ

النوائبِ

بعضُ هشيمٍ قديمٍ

وهيَّا لأسقيكَ

بعضِ رحيقي

لتركضَ حرا

إلى حيث لا تطلبُ العون

إلا من القلبِ

يقفزُ فوق الغيومِ

ويزأرُ حتى يُطاولَ

هذا الزئيرُ النجومِ

تحرر من الخوف
حتى يخافك كلُّ
الذي كنتَ تخشاهُ

حتى تقومُ
وينشقُّ ليلُكَ

هذا البهيمُ

عن الفجر

ينزاحُ عنكَ الأسي
ويصحُّ

السَّقِيمُ

١٩٩٩ / ٦ / ٢٣

غار القمر

إلى ابنتي «مى»

يا مى . فى عيد ميلادك
الخامس عشر

قال القمر .

ماذا علىّ لو احتجبتُ
وهذه «مى» الجميلةُ

وسطَ بستانِ الزَّهرِ

قمرٌ جديدٌ يزدهرُ

هى فتنةُ

رقصتُ لها الأمواجُ

وابتهلَ الشَّجرُ

أغرودةٌ.
ذابتُ لها الأحجارُ
واحترقَ الوترُ
يا ويلتى .
حتى النجومُ تسابقتُ كى تعتذرُ
همستُ لها .
يا مِى

١٩٩٩ / ٦ / ٢٣

المحتويات

الصفحة

٥	الإهداء.....
٧	كأنه الغروب.....
١٤	حين كان الغمام يهمى.....
٢٠	ميدلين . الفراشة الحمراء.....
٣٠	شجر الكلام.....
٣٤	الحياة السعيدة . . الحياة التي لم تكن.....
٣٧	هل يضجر البحر؟.....
٤٦	شتاء العروبة.....
٥٣	القتلة.....
٥٩	سأبقى مع الحب.....
٦٦	ما الذي أعجلك؟؟.....
٧٣	امرأة أم مدينة؟؟.....
٧٦	جدلية.....
٧٩	للريح حكمتها.....
٨٥	غار القمر.....

رقم الإيداع ٩٩/١٥٨٣٠
الترقيم الدولي 0 - 0586 - 09 - 977

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيويه المصرى - ت: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

شجر الكلام

لا تسأليني.

أن أقيمَ فقد تعبتُ
من المقامِ

ذبلتُ غصونُ

الحلمِ

فى شجرِ الكلامِ

ساختُ بهذا الرملِ

أقدامُ الخيولِ

شرابها دمعُ السرابِ

وظلها وقدُ الهجيرِ

طعامها ذرُ القتامِ